المحور العاشر: سيكولوجيا المناهج التربوية: المنهاج القديم، والمنهاج الحديث ودور أطراف العملية التعليمية فيهما.

مقدّمة:

سيكولوجيا المناهج التربوية (Curriculum Psychology) هي دراسة كيفية تصميم وتنفيذ المناهج بما يتناسب مع تطور النفس البشرية، قدرات التلاميذ، وخصائصهم المعرفية والوجدانية، عند النظر إلى المنهاج التربوي من منظور سيكولوجي، نُركّز على كيفية تكييف الخبرات التعليمية مع نمو المتعلم ومراحله النفسية، وكيف تؤثر خطة المنهج (الأهداف، المحتوى، الأساليب، التقييم) على التطور الشامل للتلميذ، في هذا السياق، من المهم التمييز بين المنهاج القديم (التقليدي) والمنهاج الحديث، لأنهما يعكسان فلسفتين تربويتين مختلفتين تتعلقان بدور كل من المعلم، المتعلم، الأسرة، والمجتمع في العملية التعليمية.

أولًا: المنهاج القديم (التقليدي)

1. **المفهوم والخصائص:**
   - في المنهج القديم، غالبًا ما يُفهم المنهج على أنه المقررات الدراسية الثابتة التي يجب تلقينها للتلاميذ.
   - التركيز يكون على **المعرفة المعرفية** فقط (الحقائق، المواد الدراسية) دون اهتمام كبير بالجوانب الانفعالية أو الاجتماعية.
   - المنهج ثابت وغير مرن: لا يقبل كثيرًا التغيير أو التعديل وفقًا لاحتياجات المتعلمين، لأنه يُعد مقررًا جامدًا.
   - غالبًا ما يكون التقييم تقليديًا، معتمدًا على الامتحانات والحفظ، وليس على التقييم المستمر أو التكويني.
2. **من الناحية السيكولوجية:**
   - لا يأخذ في الاعتبار الفروق الفردية كثيرًا: المتعلم يُعامل بطريقة واحدة تقريبًا، بغضّ النظر عن قدراته أو ميوله.
   - النمو السيكولوجي للتلميذ (المعرفي والانفعالي والاجتماعي) يُهمّش، لأن المنهج القديم يركّز على الجانب الأكاديمي البحت.
   - دور المعلم هو دور المحور: هو الذي يحدد ما يُدرس، كيف يُدرس، ومتى، والتلقين يكون منه إلى التلميذ.

3. **مزايا وعيوب المنهاج القديم:**

- **المزايا:** تنظيم واضح، سهولة التطبيق، وضوح المعايير، وقد يكون مناسبًا في بيئات ذات موارد قليلة.
- **العيوب:**يهمّش الجوانب الشخصية والاجتماعية، لا يراعي الفروق الفردية، ويجعل المتعلم متلقيًا سلبيًا، كما أن أسلوب التلقين قد يحدّ من التفكير النقدي.

ثانيًا: المنهاج الحديث

1. **المفهوم والخصائص:**

- المنهج الحديث يُعرّف بأنه مجموعة من الخبرات التربوية (علمية، اجتماعية، فنية، رياضية...) التي تهيئها المدرسة للتلاميذ داخل وخارج الصف بهدف نموهم الشامل.
- مرن ويقبل التعديل: يمكن تحديثه وتكييفه مع احتياجات المتعلمين وسياق المجتمع.
- يركز على **النمو الشامل** للمتعلم: ليس فقط معرفيًا، بل أيضًا وجدانيًا واجتماعيًا وسلوكيًا.
- يراعي الفروق الفردية بين التلاميذ: الميول، القدرات، الاحتياجات الخاصة، ويمكن تصميم أنشطة تعليمية متنوعة تناسب الجميع.
- التقييم متعدد الأبعاد: لا يقتصر على الامتحانات فقط، بل يمكن أن يكون تقييمًا تكوينيًا، مشروعات، عمل جماعي، عروض، وغيرها.

2. **من الناحية السيكولوجية:**

- المنهج الحديث يعتمد على أسس نفسية قوية: عند التصميم، يأخذ المصممون بعين الاعتبار النمو النفسي للطفل (المعرفي، الانفعالي، الاجتماعي).
- يُشجّع التعلم النشط: المتعلم ليس متلقٍ فقط، بل يشارك في بناء المعرفة من خلال أنشطة تفاعلية.
- يُمهّد لبيئة صفية أكثر إنسانية، حيث تكون الخبرات التعليمية مصمّمة بحيث يكون لها معنى في حياة المتعلم، وتعزز شعوره بالانتماء والدافعية.

3. **مزايا وعيوب المنهاج الحديث**

- **المزايا:**
  - يعزز التفاعل والمشاركة.
  - يراعي التنوع بين التلاميذ.
  - يُنمّي مهارات القرن الحادي والعشرين (تفكير نقدي، تعاون، إبداع).

- يُسهم في تنمية الشخصية، لا مجرد المعرفة.

- **العيوب:**
  - يتطلب موارد أكثر (معلمين مؤهلين، مواد وأنشطة متنوعة).
  - يحتاج إلى تخطيط جيد وتدريب للمعلمين.
  - قد يكون التقييم أكثر تعقيدًا ويتطلب وقتًا وجهدًا أكبر.

ثالثًا: دور أطراف العملية التعليمية في المنهاج القديم والحديث

لننظر إلى الأطراف الأساسية في العملية التعليمية: المعلم، المتعلم، الأسرة، والمجتمع، كيف يختلف دور كل طرف بين المنهج القديم والحديث؟

1. **المعلم:**
   - في المنهج القديم: المعلم هو محور العملية التعليمية؛ يقرر المحتوى، يُلقي الدرس، ويُقيم الطلاب.
   - في المنهج الحديث: أصبح المعلم ميسرًا (facilitator) أو مرشدًا؛ دوره هو تصميم الأنشطة، توجيه المتعلمين، تحفيزهم على التفكير والعمل الجماعي.
   - أيضًا في المنهج الحديث، يُنتظر من المعلم أن يأخذ في الاعتبار الفروق الفردية وأن يخطط لأساليب متنوعة للتعليم والتقويم.
2. **المتعلم (الطالب):**
   - في المنهج القديم: المتعلم هو متلقي للمعلومات، دوره تقليدي؛ التفاعل محدود، غالبًا ما يكون السمعي أو التلقيني.
   - في المنهج الحديث: المتعلم في مركز الاهتمام، له دور نشط في بناء المعرفة، المشاركة في الأنشطة، العمل ضمن فرق، اتخاذ قرارات، والتقييم الذاتي.
   - النمو الذاتي والتفكير النقدي جزء أساسي من المنهج الحديث، ما يعطي التلميذ استقلالية أكبر.
3. **الأسرة والمجتمع:**
   - في المنهج القديم: قد يكون دور الأسرة والمجتمع محدودًا جدًا على المستوى التربوي المنهجي؛ التركيز يكون داخليًا في المدرسة ومحتواها مثّل تراثًا معرفيًا.
   - في المنهج الحديث: يُعترف بعلاقة المنهج بالمجتمع المحلي، فالمناهج الحديثة تراعي السياق الاجتماعي والثقافي للمجتمع.

- تشارك الأسرة بشكل أكبر في: التفكير في الأهداف التربوية، القيم، التنشئة الاجتماعية، وربط المنهج بواقع المجتمع.
- المجتمع (من خلال المؤسسات، القيم الثقافية، العمل) يمكن أن يؤثر في تصميم المنهج، لأن المنهج الحديث يعد وسيلة لتحقيق أهداف مجتمعية وليس فقط أكاديمية.

أمثلة:

- **مثال مع المنهج القديم:** في مدرسة تقليدية، المعلم يُحضّر درسًا في اللغة العربية من كتاب موحّد، يشرح المادة بشكل محاضرة، يُعطي ملخصًا، ثم يُجري اختبار حفظ بنهاية الوحدة، الطالب يحفظ القواعد والبلاغة، لكن قد لا يتم تشجيعه على التفكير في تطبيق القاعدة باستحضار نموذج ومثال.
- **مثال مع المنهج الحديث:** في منهج حديث لدراسة اللغة العربية في الثانوي، المعلم يطلب من التلاميذ إجراء بحث جماعي حول تحليل قصيدة لنزار قباني، التلاميذ يستخدمون المصادر (كتب، إنترنت، مجالات)، يناقشون في مجموعات، ويعرضون نتائجهم في شكل مشروع أو عرض، التقييم ليس فقط عن التحليل، بل عن الفهم، النقد، والتطبيق.
- **مشاركة المجتمع:** عند تصميم منهج حديث في مدرسة، يُدعى أولياء الأمور والمجتمع المحلي (مثلاً كبار السن أو مؤرخين محليين) للمساهمة في إدراج مكونات محلية (تاريخ، تراث، قصص محلية) داخل المنهج، مما يعزز ارتباط التلاميذ ببيئتهم ويسهم في نقل الثقافة.

الخاتمة:

من منظور سيكولوجي، يمكن القول إن الانتقال من المنهج القديم إلى المنهج الحديث يعكس تحولًا كبيرًا في رؤية التربية، المنهج القديم، بتركيزه على التلقين والثبات، لم يكن يأخذ في الاعتبار النمو النفسي الكامل للمتعلم، بينما المنهج الحديث يضع المتعلم في مركز العملية التعليمية، ويصمم الخبرات التعليمية بطريقة تراعي الفروق الفردية، التفاعل، المشاركة المجتمعية، والنمو الشامل.

دور المعلم، المتعلم، الأسرة، والمجتمع يتغير في المنهج الحديث ليصبح أكثر توازناً وشراكة، بدلاً من أن يكون المعلم وحده هو صاحب القرار، بذلك، يصبح المنهج الحديث أداة تربوية ليست فقط لنقل المعرفة، بل لبناء الإنسان بصفته كائنًا معرفيًا، اجتماعيًا، وجدانيًا، قادرًا على التفكير والنقد والمساهمة في مجتمعه.